فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

« ولا سيما » المصرية

مذهب جديد صالح

اختلف علماء العربية في جملة « ولا سيما » اختلافا كبيرا فأجازوا رفع الاسم الذي بعدها ونصبه وجره . وهذا اضطراب لالباب الطلاب والكتاب واغتراب عن الصواب . لانه لو جازت انواع الاعراب الثلاثة لكان الكلام عن « ولا سيما » ابتر اي لا خير فيه . ولان نسير على مذهب واحد واطراد واحد متحرين صحة التعبير والتفسير والتقدير خير من ان نركض نحو تبلبل العلماء كالراكض نحو السراب يؤيد خطأه ويزيد ظمأه . ولذلك اقول : ان حجج بعض العلماء في « ولا سيما » متناقضة وفي اتباع المتناقض تجويز الاضداد دلالة على فقدان الصواب . ومن سوء حظنا ان « ولا سيما » جاءت في الشعر قبل النثر ومن وضعها في النثر اقتدى بالشعر متغاضيا عن صحة وضعها وترتيب اجزائها وايضاح معناها غافلا عن ان وزن الشعر واقتضاب المعنى وتغيير اللفظ وبعثرته تضطر الشاعر الى الخضوع لها فاضعف دليل عندي دليل وارد في الشعر مخالفا للنثر المؤيد . فان امثال ذلك الدليل هي التي بعثرت لغة العرب وبعثرت قواعدها . والعجيب الغريب ان (احد اعضاء المجمع العلمي) في دمشق نشر بحثا زخارا موارا عن « ولا سيما » وعند استدلاله على جواز تخفيف الياء المشددة من « سي » اتى بها في آخر المضارع الاول في احد الابيات . ولكنه لما اورد « لا » النافية للعموم وذكر ابياتا لبعض المعترضين على وجوب تكرار « لا » ادعى ان ذلك ضرورة . فاستشهاده الشعر جائز واستشهاد غيره باطل وتلك لعمر اللغة فوضى وحكم لا يرضى .

ان اعظم ادلة العلماء في « ولا سيما » استندت الى قول امرىء القيس :

ألا رب يوم لي من البيض صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

وقد عثرت على قول ابي سفيان يوم السقيفة :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم «ولاسيما» تيم بن مرة أو عدي

فهذان القولان اقدم الاقوال وغيرهما مقيس عليهما ومأخوذ منهما. ومتى فسرنا البيتين تفسيرا بعيدا عن التعسف ذهب التكلف والتحرف والتطرف .فاحسن تفسير توصلت اليه للبيت الاول هو :

« مرت بي ايام ذات صلاح ونعيم .ولا مماثل ليوم دارة جلجل في صلاحه ونعيمه ».ومعنى البيت الثاني :

« يا ابناء هاشم لا تتركوا مجالا لطمع الناس فيكم ولا مثيل لتيم بن مرة وعدي في طمعهما » فالقارىء يرى ان « لام الجر » حلت محل « ما » فاستقام المعنى استقامة تامة . ويرى ان جملة « ولا سيما » استدراكية فكأنه قال : « الناس طامعون فيكم ولكن تيما وعديا اطمع الناس ». ويرى ايضا ان الجملة مستأنفة ولم يرتبطها بسابقتها إلّا المعنى . ولو لم تكن مستأنفة لتعذر التفسير وارتبك التقدير وتفه التعبير . فما اسمج ان يقال:« مرت بي ايام ذات صلاح ونعيم لا تشبه يوم دارة جلجل لانه ذو صلاح كثير ونعيم غزير »؛ لانه لا ينطبق على البيت فأي كلام فسروه بـ (لا تشبه) ؟ انهم الصقوا ذلك تقويما لاود تفسيرهم . فالشاعر قال (ولا سي) أي « ولا شبيه او مثيل » بالتغاضي عن الجملة السابقة وبالرغبة في الاستدراك .

الاعراب

الواو : حرف استئناف واجب الذكر لان المعنى لايتم ابدا إلّا بالاستئناف كما رأينا . وتضمر الواو وجوبا بدل ما حذفت منه قديما .

لا : نافية للجنس لا يجوز حذفها ابدا ذهابا الى الفصاحة واتباعا لافصح ناطق بـ « ولا سيما » .

سي : اسم «لا» مبني على الفتح بمعنى « مثيل او مماثل»ولا يجوز تخفيف الياء ابدا حفظا لاصلها الصحيح .

ما : حرف زائد حل محل « لام الجر » المحذوفة لضرورة الشعر ولكون الالسنة والاذواق قد الفتها حسن وضعها .

يوم : مجرور وجوبا باللام المحذوفة والتقدير :« لا مثيل ليوم بدارة جلجل في الصلاح والنعيم » والجار والمجرور في محل رفع خبر«لا» النافية للجنس.

تبرير هذا التقدير

قال العرب (فتى ولا كمالك) اي « فتى ولا مثل مالك في الفضل والشجاعة» ولكنهم حذفوا آخر الجملة لان لهم اذواقا حساسة ، وايجازا جميلا . وقالوا: « ابا خراشة إما انت ذا نفر » والاصل « ان كنت ذا نفر » ولكنهم حذفوا « كان » واحلوا محلها « ما » . ولذلك لا حرج علينا في احلال « ما » محل «لام الجر المحذوفة » تجنبا للتعسفات والتقديرات الغريبة وتحريا للمعنى الصحيح وقتلا لتبلبل العلماء وتناقضاتهم واختصاصا بمذهب واحد ينطبق على كلام الجاهليين والفصحاء المتوسطين والمولدين .

تطبيقات على احوال « ولا سيما »

١ــ قد يحذف خبر « لا » فتدخل « ولا سيما » على الجار والمجرور مثل: « يستحسن اطعام اليتامى ولا سيما في ايام ذات مسغبة » والتقدير :« ولا سيي أو « ولا مثيل » للاطعام في ايام ذات مجاعة » .

٢ــ قد حذفت واو « ولا سيما » عند المولدين ولكنهم كانوا جدراء باثباتها اتباعا لمن قبلهم من الفصحاء . ولذلك يجب اظهارها عند اعراب كلامهم. قال ابن ابي الحديد في الشرح :«ولا ريب ان محمدا عليه السلام واهله الادنين من بني هاشم « لا سيما » علي عليه السلام انعموا على الخلق » والتقدير « ولا مثيل لعلي في الانعام » في بني هاشم وأهل محمد الادنين. وحملته فيها تقديم وتأخير والاصل : « قد انعموا على الخلق لا سيما علي عليه السلام » .

٣ــ قد يحذف خبر « لا » وتحذف الواو وتدخل « لا سيما » على حرف يليه فعل قال ابن ابي الحديد « واين هذا من باب حمل المطلق على المقيد « لا سيما » وقد ثبت ان التعليل » والتقدير « ولا مثيل لقولي او لانكاري لان ثبوت التعليل . الخ . » فالواو (واو التعليل) لا محالة ومن الامثلة على ثبوت قولي بان الواو للتعليل قولهم :

٤ــ «الكتاب جيد لاسيما والموضوع موضوع عصري» والتقدير (الكتاب جيد ولا مثيل لجودته لان الموضوع عصري » فالقارىء يرى ان الواو احتلت

محل « لام التعليل » من دون شك او تكلف .

٥ــ تدخل على الظرف مثل « المطالعة مفيدة ولا سيما قبل الظهر » والتقدير « ولا مماثل لفائدتها قبل الظهر » .

دحض حجج المتبلبلين والمتناقضين

١ــ قال العلماء (خبر النافية محذوف والتقدير « موجود او كائن » قلت لو وضعناه في مثل الاخير لصارت الجملة « المطالعة جيدة ولا مثيل قبل الظهر موجود » وهي ناقصة تحتاج الى زيادة « لجودتها » اي الخبر الذي قدرته انا فتكون « ولا مثيل لجودتها قبل الظهر » فقولي هو الراجح الراجح ؛ بحذف « موجود » الزائد .

٢ــ وقالوا « ما » اسم موصول مضاف اليه والاسم بعدها خبر لمبتدأ محذوف . قلت ذلك خطأ لان « لا » يجب ان يكون اسمها نكرة وهم اضافوه الى المعرفة فصار معرفة ولا يجوز ان نعبث بقواعد لغة العرب من اجل تبرير قولهم. اما رفعهم الاسم فيبطل بقول القائل « الكتاب جيد لا سيما والموضوع موضوع عصري » اذ ليس في الكلام خبر حتى يقدر والمبتدأ . ولا تصلح « ما » لان تكون موصولة اذ لا صلة لها ابدا . ولو حذفوا الواو وقدروا المبتدأ لصارت الجملة « الكتاب جيد ولا مثيل موجود هو الموضوع موضوع عصري » وليس لها معنى مقبول ولا مبنى صحيح فالصواب ماقدمته في تقدير هذه الجملة.

٣ــ وقالوا « ما » نكرة تامة مضاف اليها والمبتدأ المحذوف والخبر الموجود صفة لها . قلت هذا لا يجوز ابدا فابن ابي الحديد قال « لا سيما وقد ثبت » فأين الخبر حتى نقدر له مبتدأ ؟ ولو قدرنا كليهما فما معنى « لا مماثل موجود هو الامر وقد ثبت » ؟ فالصواب ما قلت وما قدرت آنفا .

(٤) وقالوا (ان الاسم الواقع بعد « لاسيما » يكون مضافا اليه اذا كان نكرة باعتبار « ما » زائدة وسي مضافا . قلت ذلك جيد ولكنه لا يمكن تطبيقه في كل الاحوال ولذلك نعود الى التبلبل باثباته . وقولنا: « ولا مثيل ليوم بدارة جلجل » اصح من قولنا : « ولامثيل ليوم بدارة جلجل موجود » . ومن جعله « تمييزا » فهو متبلبل ايضا لان خبر قاعدة ماكانت عامة منطبقة على جزئياتها تمام الانطباق . اضف الى ذلك أنه غير مألوف لبعده عن الصواب.

الكاظمية مصطفى جواد